سموم .. بالالوان الطبيعية

ليس في المنكر ان يحب احدهم مشاهدة الافلام .. فالسينما اعظم فنون العصر على الاطلاق، الى جانب كونها اخطر اجهزة الدعاية واوسعها انتشارا واعمقها اثرا ..

لكنّ المنكر، ان يدفع ذلك الاحدهم نقوده، ثم يجد نفسه مضطرا لمغادرة صالة العرض محنقا شاتما قبل النهاية السعيدة!

حدث لي ذلك اكثر من مرة.. ورغم الايمان المغلظة بألا "أفعلها ثانية"- أن أنبح نقودي على اعتاب دور السينما كنت التفت الى نفسي من أسبوع لأسبوع لاجدني متلبسا "بالعملة" نفسها، امام شباك التذاكر ..

أمس الححت على صديق لي بأن يشاركني المتعة بمشاهدة فنان من ذوي الارصدة الضخمة على الشاشة البيضاء.. واسم هذا الفنان انتوني كوين..

أنه ممثل حقيقي، وليس مجرد «نجم» بارد، كسائر نجوم اميركا الذين لا يحملون من المواهب سوى الوسامة والقسامة وحسن تكوين القامة!

كان شباك التذاكر مغلقا، نفدت التذاكر جميعها .. ولم ينقذني

من الخيبة سوى غمزة من بعض خلق الله: كم تريد .. تذكرتين؟

تفضل، سبع ليرات وستون اغوره .. لا تناقش .. انت ترى انك صاحب بخت. كثيرون الذين يدفعون الثمن عن طيب خاطر!

ودفعت الثمن.. لا عن طيب خاطر، لكن خضوعا لاغراء الممثل ذي الوجه القبيح.. انتوني كوين.

اسم الفيلم "الساعة الخامسة والعشرون" وبالألوان الطبيعية الحارة .. الموسيقى جميلة جدا، والمقعد مريح جدا .. والجمهور هادىء جدا ..

تدور أحداث الفيلم في رومانيا وعدد من الدول الاوروبية .. اثناء الحرب العالمية الثانية، وتروي المشاهد المثيرة قصة رجل يعيش قرير العين مع زوجته وطفليه، ولا يفهم شيئاً عن الحرب .. ولكن شاويش القرية يحب زوجة هذا الرجل الطيب، ويظن الشاويش انه حتى ينال المحبوبة المتمردة لا بد له من ابعاد زوجها ..

وفي طرفة عين يلفي الزوج المسكين نفسه في معسكر اعتقال مع عدد كبير من اليهود، ويحاول اقناع قائد المعسكر بان خطأ ما قد وقع، وانه مسيحي مؤمن بالاقانيم الثلاثة، وليس يهوديا .. وتذهب كل محاولاته مع الريح .. وتكمل المصائب حين يبلغ بقرار زوجته الطلاق منه .. ويتورط، من حيث لا يدري، مع النازيين ..

وتنتهي الحرب بهزيمة ساحقة لزبانية هتلر .. وتبدأ محاكمة نيرنبرغ الشهيرة .. ثم يتضح ان المسكين بين المتهمين بالتعاون مع النازيين .. وتمتلىء قاعة المحكمة، ويتلو محامي النيابة لائحة الاتهام الطويلة العريضة، ثم يقف محامي الدفاع ليرد التهمة عن الضحية

البريئة ..

بين الادلة التي حملها "الدفاع" رسالة كانت قد كتبتها الزوجة التي فرض عليها الطلاق، الى زوجها الذي فرض عليه ان يكون يهوديا "ونازيا" في وقت واحد!

الى هذا الحد ظلت احداث الفلم مثيرة وممتعة، وظل المقعد الذي اغوص فيه مريحا، وبلا "سابق انذار" نسمع محامي الدفاع وهو يقرأ بصوت "عاطفي ومؤثر" فقرة من رسالة الزوجة الغلبانة تقول فيها ان جنود الجيش الاحمر اسقوها الفودكا، ونزعوا عنها ثيابها، ثم ..!

وهنا، ماذا تنتظرون من امرىء يعيش ببقايا اعصاب؟!

لقد تحجر كل شيء من حولي، وغامت عيناي!

اهذا هو كل ما صنعه الروس في الحرب العالمية الثانية؟ وحتى لو كانت هناك حادثة اغتصاب من هذا النوع، فهل تنسى امريكا عشرين مليون شهيد من ابناء الاتحاد السوفييتي؟ .. وهل تنسى امريكا ان اول من سقط على ابواب الرايخ الالماني كان جنديا من الجيش الاحمر؟.

لا.. ان أمريكا لم تنس.. ولا يمكن ان تنسى القبضة التي حطمت جمجمة هتلر وانقذت الانسانية!

ولكن امريكا.. امريكا الراسمالية الاستعمارية.. امريكا جونسون ومكنمارا، تتناسى، وتفعل كل شيء ممكن لمقاومة الضوء النظيف .. ضوء الاشتراكية، الذي يواكب مسيرة الشمس ويغمر العالم!

وأمريكا مجرمي الحرب، ليست وحيدة في مهنة العداء للاتحاد السوفييتي والعداء للاشتراكية والتحريض عليها .. لقد وجدت لها بعض الذيول في أرض الله الواسعة .. لكن من كان يتصور ان قوما يدعون تمثيل الشعب اليهودي، يمكن ان يهينوا ضحايا هذا الشعب، بشكل قد يعجز عنه، حتى اولئك الذين فقدوا القطرة الاخيرة من ماء وجوههم؟

وجدتني اخطف نفسي من المقعد الذي كان مريحا، واغادر القاعة محنقا شاتما .. وانا الان اضع اسفي، لا على النقود التي فقدتها، بل على النفوس التي تحقنها امريكا بالسم، وتحت بصر المسؤولين في اسرائيل، وبموافقتهم التامة بلا شك!